إكراهات النقل الديداكتيكي لمكون الجغرافيا:
السنة الثانية من سلك الباكالوريا
مسلك الآداب والعلوم الإنسانية نموذجا

الباحث عبد الوهاب السحيمي
حاصل على شهادة الدكتوراه في الجغرافيا البشرية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان
المغرب

ملخص

تعتبر الجغرافيا ركنا أساسيا في التكوين الفكري والمدني والاجتماعي للناشئة، لتكون على بينة من ميكانيزمات المجال الجغرافي ودور الإنسان كفاعل فيه، ولتتحقق لديها تربية مجالية مسؤولة. من خلال هذا التوجه، تظهر الجغرافيا في هذا المجال، إذ أصبحت تركز على الواقع المعيش للفرد والجماعة لتعالج المكونات المجالية بمختلف المقاييس وتساعد على إعداد المجال والتخطيط له واتخاذ القرار في شان قضاياه. وبالتالي، اعتبار الجغرافيا منهجا مهما للتفكير المجالي[1].

إن تجاوز الوضع الحالي للجغرافيا المدرسة معرفة ومنهجا، يقتضي اعتماد المقومات الإبستمولوجية للمادة، ومسايرة مستجدات البحث الأكاديمي والديداكتيكي، لتقوم الجغرافيا بدورها بشكل فعال في تنمية الفكر وحصر الموارد المجالية والمساهمة في بناء مخططات إعداد التراب وتتبع التوازنات البيئية، الأمر الذي سيمكن المادة من استرجاع وظيفتها الفكرية والمجتمعية. في هذا الصدد، تتحتم مساءلة الجغرافيا كمادة مدرسة حول طبيعة العمل التربوي الذي تمارسه على الناشئة، وذلك في سياق ترشيد المنظومة التربوية وتأهيلها. غير أنه، ثمة إشكالات وإكراهات تعيق تحقيق الجغرافيا لأهدافها والقيام بأدوارها لفائدة المتعلمين والمتعلمات. ومن أبرز هذه الإشكالات نذكر إشكالية النقل الديداكتيكي. لذلك، اخترنا أن نتناول في هذه الدراسة إكراهات النقل الديداكتيكي لمكون الجغرافيا للسنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية نموذجا.

الكلمات المفتاحية: النقل الديداكتيكي – مكون الجغرافيا – المجال الجغرافي – المنهاج الدراسي

مقدمة

عرفت العلوم والتكنولوجيا خلال العقود الأخيرة تغيرات عميقة؛ وطبعا، كان لهذه التحولات أثرا بليغا على العملية التعليمية التعليمة في مختلف الأسلاك التربوية. ومع تصاعد ظاهرة العولمة، وما رافقها من ضغط على استعمال مختلف وسائل النقل والاتصال ومن تطور سريع، وما خلفته من إشكالات بيئية وسكانية ومجالية متشعبة ومركبة، لم تفقد الجغرافيا مكانتها العلمية والوظيفية. على العكس من ذلك، تزايد الاهتمام بها، وأصبح مكون الجغرافيا من المكونات الدراسية التي يعول عليها في تكوين المتعلمين تكوينا ثقافيا وعلميا يسمح لهم بالتعامل الأمثل مع هذه الإشكالات.

فتدريس وتعليم الجغرافيا يساعد على زرع الحس الوطني والإنساني في المتعلم؛ كما أن هذا المكون إضافة إلى حرصه على تملك المتعلمين على المكتسبات المعرفية والوجدانية والمهارية، يسمح بإدراك مجموعة من المفاهيم، والقدرة على وصف الظواهر وتفسيرها وتعميمها، واتخاذ مواقف سليمة من المجال الذي يعيش فيه.

غير أن الطريق ليست معبدة وسالكة لتحقيق هذه الغايات، حيث تقف إشكالات وإكراهات تعيق تحقيق الجغرافيا لأهدافها والقيام بأدوارها لفائدة المتعلمين والمتعلمات. ومن أبرز هذه الإشكالات نذكر إشكالية النقل الديداكتيكي؛ حيث تواجه عملية نقل المعرفة الجغرافية من فضائها العلمي المجرد إلى فضاء الممارسة التربوية، مجموعة من الإكراهات سواء على مستوى نقل المعرفة العالمة أو المعرفة الواجب تدريسها أو المعرفة المدرسة في الفصول الدراسية. فما المقصود بمفهوم النقل الديداكتيكي؟ وما هي مظاهر وإكراهات النقل الدراسي لمكون الجغرافيا بمستوى الثانية باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية؟ غير أنه قبل الإجابة عن هذه الأسئلة، سنحاول أولا وضع تعريف لمفهوم النقل الديداكتيكي والتطرق لمراحله وبعض مظاهره.

1- مفهوم النقل الديداكتيكي

يكتسي مفهوم النقل أو التحويل الديداكتيكي (La transposition didactique) أهمية إجرائية بالغة في حقل العلوم بشكل عام. ويعد إيف شوفلارد Yves Chevallard من الذين سبقوا إلى نحت هذا المفهوم وتطبيقه في تدريس الرياضيات. ويتفق جان بيير أسطولفي وميشيل دوفلاي في كتابهما "ديداكتيك العلوم" مع شوفلارد في القول بأن تحديد واختيار عنصر ما من عناصر المعرفة العلمية كموضوع للتدريس يؤدي إلى تغيير ملحوظ في طبيعة هذا العنصر بقدر ما تتغير الأسئلة التي تمكن من الإجابة عنها، وكذلك شبكة العلاقات التي يقيمها هذا العنصر الجديد القديم مع باقي عناصر المعرفة المدرسية الأخرى[2].

وهكذا، قُدمت للنقل الديداكتيكي عدة تعاريف، حيث يعرفه إيف شوفلارد Yves Chevallard بأنه: "مجموعة التحولات التي تطرأ على معرفة معينة في مجالها العالم (Savoir Savant) من أجل تحويلها إلى معرفة تعليمية قابلة للتدريس"، كما يعتبر شوفلارد الانتقال من محتوى معرفي محدد إلى شكل ديداكتيكي، نقلا ديداكتيكيا بالمعنى الضيق، ولكن الدراسة العلمية لسيرورة النقل الديداكتيكي تفرض، في رأيه، أن نأخذ في الحسبان النقل الديداكتيكي بالمعنى الواسع[3]. لذلك، توجد وضعيات إبيستيمولوجية مدرسية يمكن تمييزها عن الوضعيات الإبستيمولوجية المعتمدة في المحافل العلمية أو الأكاديمية الجامعية.

أما Arsac G. فيرى أن النقل الديداكتيكي: "هو العمل الذي نقوم به عندما نحول معرفة عالمة (Savoir Savant) إلى معرفة قابلة للتدريس، مع مقاربة ما يحدث للمعرفة العالمة أثناء هذه العملية[4]. لذلك، فنشاط النقل الديداكتيكي يتميز بالاختزال والانتقاء لتحويل المعرفة من مجالها العالم المجرد المعقد إلى مجال المعرفة القابلة للتدريس. وتخضع هذه العملية التربوية إلى ضوابط خاصة حتى تتناسب والمعرفة المنقولة إلى الممارسة التربوية وتأخذ بعين الاعتبار خصوصيات وحاجيات المتعلمين. وللقيام بهذا العملية -أي تحويل المعرفة العالمة إلى معرفة قابلة للتدريس، يحتاج النقل الديداكتيكي المرور عبر عدة مراحل. فما هي هذا المراحل؟

2- مراحل النقل الديداكتيكي

حسب Yves Chevallard يتم النقل أو التحويل الديداكتيكي عبر مراحل، وذلك بالانتقال من موضوع المعرفة إلى الموضوع الواجب تعلمه إلى موضوع التعليم، وذلك في سياق مثلث ديداكتيكي تتحول فيه المعرفة على يد ثلاثة أطراف؛ حيث تنتقل من العالم

إلى المدرس إلى المتعلم، وعبر مراحل الانتقال هذه، تتغير المعرفة الأصلية الخالصة لتصبح معرفة متميزة عن سابقتها. وتتجلى مراحل النقل الديداكتيكي فيما يأتي:

– **مرحلة المعرفة العلمية:** هي معرفة أكاديمية تتميز بكونها مفتوحة يصعب على المتعلمين استيعابها لعدم تناسبها مع بنياتهم الذهنية وتمثلاتهم المعرفية. تكون المعرفة في هذه المرحلة متداولة من طرف المختصين، ويكون الهدف من إنتاجها هدفا علميا صرفا. وتتميز بكونها مجردة ومعقدة ومفتوحة؛ لأنها قابلة للتحول، وبالتالي، يصعب إدراكها وتمثلها من طرف المتعلمين.

– **مرحلة المعرفة المطلوب تدريسها:** إن كانت المعرفة العلمية تتميز بالشساعة والانفتاح وبطابعها العلمي الصرف، فإن المعرفة القابلة للتدريس تتصف بالاختزال والانتقاء وبخاصياتها المجتمعية والبيداغوجية تماشيا مع ما تقتضيه التوجيهات التربوية الرسمية، وبذلك تصير معرفة مؤطرة بالمنهاج الدراسي ومتضمنة في الكتاب المدرسي. ويتعلق الأمر بمرحلة المعرفة المتضمنة في المقررات الدراسية. ورغم أن قواعد السياسة التعليمية العامة ترخي بظلالها على لجن تأليف الكتاب المدرسي، فإن الأمانة تستوجب ألا نقدم للأساتذة والمتعلمين إلا المعرفة الملائمة. بفعل النقل الديداكتيكي تتحول المعرفة الخالصة إلى معرفة يجب تعليمها.

– **مرحلة المعرفة المقدمة خلال عملية الإنجاز:** هي معرفة مستمدة من المعرفة الواجب تدريسها، كما أنها تمتح من التكوين الشخصي للمدرس. وتصير المعرفة في هذه المرحلة موضوعا للممارسة التعليمية التعلمية داخل فضاء القسم، إذ تتمثل فيما يقدمه المدرس لمتعلميه عبر وضعيات ديداكتيكية تنزيلا للمنهاج الدراسي الرسمي.

إضافة إلى التحول الذي يطرأ على المعرفة مع نقلها ديداكتيكيا من مرحلة إلى أخرى، ورغم الجهود الإجراءات الرامية إلى توحيد الرؤى والممارسات، وضمان الموضوعية المطلوبة في كل فعل تربوي، فإن المعرفة المدرسة لا يتم تلقيها والتعامل معها من طرف المتعلمين بنفس الطريق وبنفس التمثلات. ومرد ذلك بالأساس إلى حيثيات الأجواء التربوية التي تمارس فيها، بما في ذلك خصوصيات المتعلمين وطبيعة تمثلاتهم للمعرفة المدرسة، إضافة إلى طبيعة المدرس من حيث تكوينه وشخصيته وطرقه وأساليبه في التدريس.

خلال عملية الإنجاز، يتعين على المدرس تنويع الوضعيات، بين وضعية الفعل حيث يضع المتعلم أمام مشكلة ويطلب منه البحث عن حل لها انطلاقا من تمثلاته ومكتسباته السابقة، ووضعية المأسسة حيث يؤسس عبرها للمعرفة العلمية المؤسساتية بعد معالجة والتمثلات واعتماد الصحيح منها.

ولكي يؤدي النقل الديداكتيكي مفعوله ووظيفته، ينبغي للأستاذ أن يعرف أن بينه وبين المتعلمين مسافة زمنية ومكانية يجب عليه قطعها؛ لذلك لتحقيق هذه الغايات، يستوجب الأمر المرور عبر ثلاث مراحل هي: مرحلة المعرفة العلمية، ومرحلة المعرفة المطلوب تدريسها، ومرحلة المعرفة المقدمة. وكما أن للنقل الديداكتيكي مراحل يجب قطعها ليقوم بدوره ويحقق مراميه، فله كذلك مظاهر وخصائص. فما هي أبرز مظاهر وخصائص النقل الديداكتيكي؟

3– مظاهر النقل الديداكتيكي

لتحقيق نجاح تحويل المعرفة ديداكتيكيا من إطارها العلمي الخالص إلى الإطار المدرسي، يحتاج الأمر توفر مجموعة من الشروط والإجراءات العلمية التي ينبغي احترامها. لذلك، تتخذ هذه العملية مجموعة من المظاهر والخصائص التي يرتبط معظمها بطبيعة المعرفة العالمة، حيث تتسم هذه الأخيرة بالتعقيد والتجريد.

يقول Devely: "كل معرفة عالمة هي عبارة عن أجوبة على أسئلة مطروحة أو مقدمة، إن هذه الأسئلة تكون أحيانا عويصة ومعقدة. كما تعتبر نتيجة لبحث معين مستمر ومتتابع داخل مجال محدد وفترة معينة[5]. إن مهمة انتقاء واختيار المادة التعليمية المناسبة القابلة للتدريس ليس بالأمر السهل؛ حيث تنتج عنه تبعات تتمظهر في تغيرات تطرأ على المعرفة العالمة، يمكن تلخيصها فيما يأتي:

– **إسقاط الشخصنة عن المعرفة La dépersonnalisation du savoir**: لهذه المرحلة ارتباط وثيق بالمحيط الإبستيمولوجي الأصلي، يقتضي من الباحث: "إزالة شخصنة المعرفة بحذف التعليلات الشخصية الذاتية والخلفيات الإيديولوجية والمسالك المتعرجة والطويلة"[6]. لذلك، فتجرد المعرفة من سياقها الخاص يفرض إقصاء وتجاهل الظروف العامة التي كانت وراء انبثاقها.

- **تجزيء وتفكيك المعرفة La décomposition du savoir**: تتميز المعرفة العالمة بتداخل حقولها وبتكاملها، غير أن النقل الديداكتيكي يتدخل لتجزيئها وتفكيكها بهدف تحويلها إلى معرفة مدرسية؛ مما يؤدي إلى تشويه في المعرفة الأصلية، وتشويش على فهمها في شموليتها.

– عزل المعرفة من سياقها La décontextualisation du savoir: يؤكد Decoorte أن "المفاهيم العلمية لا تأخذ معناها إلا بداخل سياقها، ومن هنا تتجلى أهمية اعتماد تاريخ العلوم حتى يدرك المستهدفون وظيفة العلم وكيفية تطور المعرفة"[7].

ويتمثل عزل المعرفة من سياقها في إقصاء الشروط والمواصفات الإبستمولوجية للمعرفة العالمة، وتجريدها من الإشكالية التي كانت وراء انطلاق البحث العلمي، إضافة إلى إغفال تاريخ المعرفة والتراكمات العلمية التي مهدت للوصول إلى المعرفة العلمية العالمة في صيغتها المحينة. وبالتالي، فإن المؤسسات التربوية تقوم بتمرير المعرفة المدرسية مبتورة عن السياق العام الذي هيأت ظروف انبثاقها.

– قابلية البرمجة المعرفية La programmabilité du savoir: تقتضي عملية البرمجة عند تسطير المناهج المدرسية مراعاة حاجيات المتعلمين ومستوياتهم العمرية ونموهم المعرفي عبر المتغير الزمني؛ حيث يري Arsac أن: "المعرفة المدرسية مبنية ومقدمة وفق تطور الزمن. ونعني بالتطور داخل الزمن الوقت الأساسي للتعليم والتحصيل، وإذا لم يتحقق التعليم المحدد لسن معينة فنستنتج إما فشل التلميذ أو المدرس، أو بصيغة قصوى، أو بصيغة قصوى فشل المنظومة التربوية"[8]. ولتنظيم وتسهيل الأداء التربوي على جميع الأطراف المعنية به، فإن المعرفة المدرسية تسطر وتُبوب في مقرر دراسي خاص بكل صنف من أصناف المعرفة العالمة.

إذا كان النقل الديداكتيكي من اختصاص الديداكتيكيين على مستوى نقل المعرفة العالمة إلى معرفة مدرسية عن طريق وضع المناهج والبرامج، فإن المدرس مطالب "بالنقل الديداكتيكي الداخلي"؛ أي تكييف مضامين الكتب المدرسية بما ينسجم مع المستوى الفعلي للمتعلمين بتنزيل ما تم تسطيره على شكل دروس.

يفترض في عملية النقل الديداكتيكي الداخلي، التي يتكلف بها المدرس، أن تقوم بانتقاء المعرفة المدرسية وتبسيطها لجعلها قابلة للتداول بين المتعلمين، مناسبة لمستواهم الإدراكي، إضافة إلى اختيار لغة وطرق تواصل فعالة ومفهومة لتقليص الكلفة الذهنية لديهم، ثم عرض المحتوى التعلمي لاعتماد مبدأ التدرج في الصعوبة انطلاقا من المعرفة البسيطة إلى المركبة. إن الباحث في مظاهر وخصائص النقل الديداكتيكي يخلص إلى أن هذه العملية تحدث حتما تغييرا على المعرفة الأصلية؛ بحيث تخضعها إلى إعادة هيكلة تفضي إلى إدخال تعديلات على مدلولها.

بعد وضع تعريف لمفهوم النقل الديداكتيكي والتطرق لمراحله وبعض مظاهره، سننتقل في المحور الموالي لدراسة أهم مبادئ وبنية المنهاج الدراسي الخاص بمكون الجغرافيا: السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية.

4– مبادئ وبنية المنهاج الدراسي الخاص بمكون الجغرافيا: السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية

من أجل وضع منهاج مادة الجغرافيا لمستوى السنة الثانية من سلك الباكالوريا – مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، تمت مراعاة مجموعة من المبادئ العامة. فقد تم، أولا، استحضار الوثائق المرجعية المتمثلة في الميثاق الوطني للتربية والتكوين، والوثيقة الإطار الصادرة عن لجنة الاختيارات والتوجيهات البيسلكية، بما في ذلك مدخل الكفايات والقيم، وكافة التوصيات المتعلقة بمبادئ وضع المنهاج[9].

كما تم استحضار الوظائف والمقومات والأسس الديداكتيكية للجغرافيا، سواء في وضع الكفايات الخاصة أو اقتراح الموضوعات وعناصر المضامين، إضافة إلى الترابط والتكامل والتداخل بين مادتي التاريخ والجغرافيا، مما تجلى في وضع الكفايات العرضانية. إضافة إلى مراعاة الاختيار الوطني لتبني المقاربة بالكفايات، مع اعتبار الطابع التصاعدي والتراكمي للتدرج في اكتساب الكفايات؛ بحيث يتم الانتقال إلى المكتسبات والمفاهيم الجغرافية لدى المتعلم في السلك الثانوي التأهيلي بعد أن تم الاقتصار على الاستئناس بها في المرحلة الابتدائية، وعلى اكتسابها في المرحلة الإعدادية.

وشأنها شأن جميع المواد الدراسية، فقد تم استحضار الغلاف الزمني لمادة الجغرافيا. فمن حيث عدد الحصص الأسبوعية، فقد خصص المنهاج حصتين لمكون الجغرافيا – السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية. كما تم تضمين المقرر السنوي 13 وحدة، مبوبة على مجزوءتين، كل واحد تضم محورين إضافة إلى أنشطة لتقويم ودعم التعلمات.

ووضع المنهاج سواء للمجزوءة الأولى المعنونة ب: "المجال العالمي والتكتلات الاقتصادية الكبرى" أو المجزوءة الثانية المعنونة ب: "اقتصاديات متفاوتة النمو"، أربع حصص لإنجاز كل وحدة بمعدل حصتين في الأسبوع مع تقديم كل وحدة في أسبوعين. كما تم وضع حصتين للوحدة الأولى، وهي عبارة عن تقديم عام، ونفس الحصة الزمنية للملفات الأربعة المرفقة في نهاية كل مجزوءة.

بعد أن كانت بنية منهاج الجغرافيا تتميز بتنوع وتعدد الخطابات والتيارات الجغرافيا، ظهر عليها نوع من التجديد الديداكتيكي من خلال اتجاهها إلى التركيز على دراسة الارتباط بين الظواهر الطبيعية وأنشطة المجموعات البشرية، وإبراز العلاقات والتفاعلات الموجودة بينها. ويفرض هذا التوجه الجديد صقل مهارات موازية للتفكير الجغرافي من خلال تحول المتعلم من عنصر سلبي، يتأثر بالمجال جغرافي ويخضع له، إلى عنصر فاعل في هيكلة وتنظيم هذا المجال. وقد ظهرت بعض ملامح هذا التوجه بإعطاء الجغرافيا صبغتها الوظيفية من خلال ما طمح إليه التأليف المدرسي استجابة للمقاربة البيداغوجية الجديدة "الكفايات".

5– التوجه الجديد لمكون الجغرافيا للسنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية

من بين ملامح التوجه الجديد لمكون الجغرافيا، إدخال مواضيع جديدة في الدراسات الجغرافيا لم يسبق أن درست من قبل؛ كجغرافيا إعداد التراب الوطني بالمغرب، وأهم التكتلات الإقليمية العالمية، وظاهرة العولمة، وغيرها. إضافة إلى التركيز على النهج الجغرافي في دراسة الظواهر من حيث وصفها وتفسيرها والخروج باستنتاجات وقوانين "التعميم" (الوصف– التفسير – التعميم). كما تم الانتقال بالنقل الديداكتيكي لكون الجغرافيا من اختيار "البرامج" إلى اختيار "المناهج" كخطط عمل بيداغوجية جديدة. وقد سطرت لهذه المادة في هذا المستوى عدة كفايات ومجموعة من القدرات، أبرزها:

– **اكتساب المتعلمين كفايات ثقافية – معرفية:** يتعلق الأمر باكتساب المتعلمين لمفاهيم ومصطلحات جغرافية مرتبطة بموضوعات تخص جغرافية المغرب والعالم العربي، مع توظيف هذه المصطلحات والمفاهيم في رصد خصائص المجال وإعداد التراب الوطني، وفي صف التحولات السوسيومجالية بالعالم العربي وتفسيرها واستخلاص آثارها على تنظيم المجال.

– **اكتساب الكفايات المنهجية:** يتعلق الأمر بالقدرة على توظيف النهج الجغرافي (الوصف، التفسير، التعميم) في دراسة الظواهر الطبيعية والبشرية انطلاقا من وثائق، والقدرة على توظيف وسائل التعبير الجغرافي المكتسبة في وضعيات جديدة. الجغرافي المكتسبة في وضعيات جديدة. إضافة على تنمية القدرة على طرح الإشكالية لقضايا تهم المجال المدروس والمعالجة المنهجية المنظمة لهذه القضايا، ثم تنمية القدرة على كتابة موضوع مقالي جغرافي، وترسيخ المكتسبات المنهجية في إعداد الملفات، إضافة إلى تنمية القدرة على التواصل مع الآخرين عن طريق العروض واللوحات والمعارض المدرسية والملفات.

– اكتساب المتعلمين تربية بيئية إيجابية؛ حيث يتعلق الأمر ب:

1. اكتساب المتعلم تربية مجالية ليكون عنصرا مشاركا ومتفاعلا مع محيطه المحلي والوطني والإقليمي، وتأهيله للمساهمة في الحفاظ على الموارد وتنميتها؛
2. تقدير أهمية جهود المغرب من أجل تحقيق التنمية المستدامة؛
3. تمكن المتعلم من التعامل النقدي مع أشكال التدبير للمجال في المغرب.

أما على مستوى المعرفة العالمة، فقد استند النقل الديداكتيكي لتدريس مكون الجغرافيا، نموذج كتاب "منار الجغرافيا" إلى 10 من الكتب العامة و5 من الكتب المدرسية و3 من المطبوعات والمنشورات و16 من المجلات والجرائد، كما استند هذا الكتاب إلى 27 مرجعا باللغة الفرنسية و21 موقعا إلكترونيا وكذلك على موسوعتان على قرص مدمج.

أما على مستوى المعرفة الواجب تدريسها لمستوى الثانية باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، وضع المنهاج تقديما عاما حول ظاهرة العولمة التي ينتظم وفقها المجال العالمي، سواء في إطار التكتلات الاقتصادية الإقليمية، أو الاقتصادات الوطنية للدول المتقدمة (مجموعة دول الشمال)، والدول السائرة في طريق النمو (مجموعة دول الجنوب). وبناء على ذلك، تمت هيكلة البرنامج في مجزوءتين:

- المجزوءة الأولى: معنونة ب "العولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى"، وتتكون من 7 وحدات، وتهدف إلى دراسة المجال العالمي والعولمة والتكتلات الاقتصادية الكبرى.
- المجزوءة الثانية: معنونة ب "اقتصاديات متفاوتة النمو"، وتتكون من 6 وحدات، واهتمت بدراسة نماذج من القوى الاقتصادية الكبرى في العالم، ونماذج من اقتصاديات البلدان النامية.

غير أن النقل الديداكتيكي لا زالت تواجهه بعض الإشكالات العالقة، سواء على المستوى الاستناد إلى المعرفة العالمة أو على مستوى المعرفة الواجب تدريسها، إضافة إلى إكراه المتعلق بإكراهات التنزيل على مستوى المعرفة المدرسة.

6- إشكالات النقل الديداكتيكي لمكون الجغرافيا: السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية نموذجا

إن المتأمل للتحول في النقل الديداكتيكي لتدريس مادة الجغرافيا، على مستوى المعرفة العالمة والمعرفة الواجب تدريسها بتبني المقاربة بالكفايات، ليلتمس هذا الانتقال في تدريس المادة من خطاب كلاسيكي إلى خطاب مغاير؛ فالأول عادة ما كان يختزلها في تلقين المتعلمين مجموعة من أسماء المدن والأنهار والوحدات التضاريسية، وإن استعملت الخريطة، فلم تكن وظيفتها تتعدى تسمية وتوطين الظواهر الجغرافية دون توظيف لأي نهج جغرافي. أما الخطاب الثاني، المبني على مدخل الكفايات، فرغم القفزة النوعية التي يطمح إلى تحقيقها، إلا أنه لا زالت تواجهه بعض الإشكالات العالقة وبعض إكراهات التنزيل.

6- 1 إكراهات النقل الديداكتيكي على مستوى المعرفة العالمة

إن التوفيق في القيام بالنقل الديداكتيكي بهدف تطوير تدريس الجغرافيا في التعليم الثانوي التأهيلي، رهين بتوطين البحث الجامعي الجغرافي لملامسة القضايا الجغرافيا الجديدة، وحل الإشكالات الراهنة. غير أنه من بين إكراهات البحث الجغرافي ضعف الدعم المالي الموجه للبحث العلمي بصفة عامة، وعدم إحداث شراكات بين المؤسسات التربوية ومراكز التكوين؛ للربط بين الجانب النظري (الدروس النظرية)، والجانب التطبيقي (تجارب مخبرية، تجارب ميدانية...).

إضافة إلى وجود قطيعة لا تسمح بتفاعل وتكامل عمل الأستاذ الجامعي مع نظيره في الإعدادي والثانوي التأهيلي، بل إنه حتى بالنسبة للمدرسين، الذين يطمحون إلى التسجيل في الجامعة لاستكمال أو تنويع تكوينهم وتعميق معارفهم ومؤهلاتهم، عادة ما يفاجؤون بمذكرات وزارية تمنعهم من ذلك. لهذا فدون سياسة لمد الجسور بين مختلف الأسلاك التعليمية، والانفتاح الفعلي للجامعة على محيطها، فلن تزول الحواجز الوهمية بين المعارف العالمة Savoir Savant والمعارف المدرسية Savoir Enseigné، ولن يتم الارتقاء إلى نقل ديداكتيكي هادف وفعال.

6- 2 إكراهات النقل الديداكتيكي على مستوى المعرفة الواجب تدريسها

تطرح انشغالات جوهرية تستمد مشروعيتها من ولع تدريس الجغرافيا بالثانوي التأهيلي؛ فإذا كان المشكل لا يطرح بحدة في مادة الجغرافيا لدى السنة الأولى من سلك الباكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، فإن المادة الواجب تدريسها لدى بعض المستويات الأخرى منها مستوى الثانية باكالوريا مسلك الآداب العلوم الإنسانية، تطرح إكراهات منها كثافة الدروس، خاصة أن الأمر يتعلق متابع بالامتحان الإشهادي؛ مما يرغم بعض المدرسين على الإسراع في إنجاز الدوس لإتمام المقرر، ويكون لذلك الإسراع انعكاس سلبي على الطريقة الديداكتيكية وعلى مستوى فهم وتحصيل المتعلمين.

وعلى مستوى آخر، فقد لوحظ أن النقل الديداكتيكي لمادة الجغرافيا بالثانوي التأهيلي لدى السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب العلوم الإنسانية، لم يحرص دائما على احترام النهج الجغرافي في ترتيب محاوره ومجزوءاته؛ ذلك أن المجزوءة الأولى خصصت للمجال العالمي والتكتلات الاقتصادية الكبرى، بينما خصصت المجزوءة الثانية لأهم للاقتصادات العالمية (الولايات المتحدة الأمريكية، فرنسا، اليابان...)، علما أن هذه الأخيرة هي التي تكون عاملا أساسيا وحاسما للدفع في اتجاه تكوين التكتلات الاقتصادات العالمية

(الاتحاد الأوربي، مجموعة أمريكا الشمالية، دول جنوب شرق آسيا...). لذلك، طان من الأجدر ديداكتيكيا ومنهجيا تقديم مجزوءة الاقتصادات العالمية على مجزوءة الاقتصادات العالمية على مجزوءة التكتلات الاقتصادية الكبرى.

ومن جهة أخرى، لا زالت المعرفة الواجب تدريسها تقدم للمتعلمين في شكل كتب مدرسية ورقية فقيرة من الدعامات الجذابة، وبعيدة كل الابتعاد عن اهتمامات وانشغالات المتعلمين اليومية. وفي هذا الإطار، نتساءل: لماذا لا يتم استغلال ولع المتعلمين بعالم الحاسوب والمعلوميات لتوريطهم داخل القسم وخارجه في المساهمة في تحقيق الكفايات، والتعلم الذاتي، وإمكانية إنشاء موقع إلكتروني على شبكة الأنترنيت خاص بالكتب المدرسية يسمح للمتعلمين بأن يتفاعلوا معه بشكل مستمر طيلة السنة الدراسية؟

من إيجابيات هذا الموقع كذلك تحيين معطيات الكتاب المدرسي باستمرار تماشيا مع واجب حيوية النقل الديداكتيكي. فمثلا لا أغلب المدرسين يدرسون بالمضامين الجغرافية للكتب المدرسية كما وردت في طبعة 2007 كما هو الحال لكتاب مكون الجغرافيا السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية؛ ذلك أن معطياتها تقادمت، وأصبحت تاريخية ولم تعد جغرافية.

6 – 3 إكراهات النقل الديداكتيكي على مستوى المعرفة المدرسية

لا زال الاشتغال على المستوى المعرفة المدرسية يعتمد بالأساس على أدوات ديداكتيكية تقليدية في معظمها؛ كالسبورة الخشبية أو البلاستيكية والكتاب المدرسي. حيث يظل هذا الأخير في غالب الأحيان الوسيلة الوحيدة في التناول الديداكتيكي لدروس الجغرافيا سواء بالنسبة للمدرس أو المتعلم، في حين يميل المتعلمون خارج المؤسسات التعليمية إلى الإقبال على تكنولوجيا المعلوميات والأنترنيت إل درجة يتفوقون فيه أحيانا على مدرسيهم.

لذلك، فإن تطوير تدريس الجغرافيا رهين بإحداث مجموعة من التحولات التي تسمح بمواكبة العصر؛ كتوظيف نظام المعلومات الجغرافية SIG، وتوظيف المسلط العاكس Data show، وإمكانية استخدام السبورة التفاعلية. وتشترط هذه الوضعية أولا استفادة المدرسين من التكوين المستمر، ثم تزويد المؤسسات بالدعامات الضرورية لهذا الغرض.

اقتراحات وتوصيات

من خلال ما سبق، يتبين أن النقل الديداكتيكي لتدريس مادة الجغرافيا، بالسنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية يعاني عدة إكراهات، سواء على مستوى المعرفة العالمة والمعرفة الواجب تدريسها أو المعرفة المدرسية، ولتجاوز هذه نقترح ما يأتي:

- لتجاوز كثافة الدروس نقترح تخفيف البرنامج المخصص لمستوى السنة الثانية من سلك الباكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية؛ خاصة أن الأمر يهم مستوى متابع بالامتحان الإشهادي، والإسراع في تقديم الدروس من جانب المدرسين، يكون على حساب جودة تحصيل المتعلمين.
- إبرام شراكات بين المؤسسات التربوية ومراكز التكوين؛ للربط بين الجانب النظري (الدروس النظرية)، والجانب التطبيقي (تجارب مخبرية، تجارب ميدانية...)، وتوفير الدعم المالي للقيام بخرجات ميدانية بحكم أن علم الجغرافيا هو علم دراسة الميدان بامتياز.
- لتحقيق التكامل بين عمل الأستاذ الجامعي مع نظيره في الإعدادي والثانوي التأهيلي، لابد من سياسة تربوية تعمل على مد الجسور بين مختلف الأسلاك التعليمية، والانفتاح الفعلي للجامعة على محيطها.
- استغلال اهتمام المتعلمين بعالم الحاسوب والمعلوميات لتوريطهم داخل القسم وخارجه في المساهمة في تحقيق الكفايات، والتعلم الذاتي، وتجاوز الطرق النمطية التقليدية المعتمدة كالسبورة الخشبية أو البلاستيكية والكتاب المدرسي...
- تسخير إمكانيات لتطوير تدريس الجغرافيا عبر توظيف نظام المعلومات الجغرافية SIG والمسلط العاكس Data show، والسبورة التفاعلية. ولتنزيل هذه العملية يحتاج الأمر إلى استفادة المدرسين من التكوين المستمر، مع تزويد المؤسسات بالدعامات الضرورية.

الهوامش:

[1]وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي،2007، التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا، سلك الثانوي التأهيلي. مديرية المناهج، ص 6.

[2]اسليماني، العربي، 2019، المعين في التربية، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، ص 229.

[3] Yves, Chevallard, 1985, la transposition didactique, édition de la découverte.

[4] Arsac, Gilbert, 1988, la transposition en mathématique, Université de Lyon et Grenoble, p 3

[5] Devely, M, 1992, De l'apprentissage à l'enseignement, pour une épistémologie scolaire, ESF, Paris, P 21.

[6] Op, Cit, p 5, Arsac, G.

[7] Ibid, p 5.

[8] Ibid, p 15.

[9]البرامج والتوجيهات التربوية للسنة الأولى من سلك الباكالوريا – الصيغة النهائية – أبريل 2006.